

المراقبة الجسدية في المجتمع الإسلامي

بن ناصر الحاجة⁽¹⁾

- يعتبر الجسد من أهم المواضيع التي شكلت اللغز بالنسبة للدارسين والمهتمين بهذا الموضوع، باعتباره مأوى النفس وعلامة رمزية للإنسان مفتاحاً لفهم ذاته، فقد شكل دوماً مفاهيم ثنائية مزدوجة فهو الطاهر والمقدس، الجميل والقيح، الهزيل السمين، وهو دوماً المشدود إلى النفس التي لا تفارقه إلاً عند النوم أو الموت لقوله تعالى: " الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" [الزمر: 42] .

وهذا يعني أنه لا فهم للجسد من دون نفس.

- إن النفس هي التي توجه الجسد باعتباره كتلة بيولوجية فيزيولوجية مؤلف من خلايا مادية هائلة فهو كآلة يحركها الكهرباء أو كالسيارة التي تسير بفعل الوقود. وهو المرآة العاكسة لطبيعة النفس سواء كانت واحدة أو كما قسمها الدين الإسلامي إلى ثلاثة أقسام: النفس الأمانة بالنفس المطمئنة والنفس اللوامة، وقد لا أكون مغالية في القول بأن هذه الأنفس كما قسمها الدين توافق التقسيم الأفلاطوني: النفس الشهوانية وفضيلتها العفة، النفس الغاضبة وفضيلتها الشجاعة أو النفس العاقلة وفضيلتها الحكمة التي هي رأس الفضائل.

"لذلك فإن أخلاقية الإنسان ترتحن بقوة هذه النفس وسيطرتها على السلوك، وبهيميته ناتجة عن ضعفها وانسياقها وراء الملذات".⁽²⁾

- إن معرفة الإنسان لحقيقة ذاته وإدراكه لفردانيته وطبيعته نفسيته لا تكون إلاً من خلال جسده " وضع الجسد مرآة لشخص صاحبه، يعكس بعد الإيمان الديني بقدر ما يعكس منزلة المرء، خلقه، أخلاقه منشأه، حسن سمعته، أو سوء معاملته"⁽³⁾ فوجدوا الإنسان إذن وجوداً جسدياً.

- كما يعتبر الجسد علامة الفرد بوصفه بنية اجتماعية ثقافية وأي مفهوم له يرتبط بالشخصية. التي تعي ذاتها من خلال علاقتها بالآخر فالأنا لا يدرك ذاته إلا من خلال النحن لقول سارتر: " فلست حينئذ، موجوداً إلاً في علاقة إلاً في علاقة مع العالم وهي علاقة مع الغير لأن المهم فوق هذا وذاك هو دوري في العالم وشخصي. هذا هو الذي يحددني ويمنحني الكثافة لأن الكثافة لا توجد إلاً تحت عيون الغير".⁽⁴⁾

- إن العلاقة بين الفرد وجسده وانتمائه إلى بيئة اجتماعية هو ما ينبغي التساؤل عنه؟ مادام الإنسان لا يتميز عن جسده ولا ينقطع عن عالمه ومجتمعه. فكل مجتمع يرسم مفهوماً خاصاً به للجسد، ويكون معرفة مفردة بالجسد، اتصالاته، تعابير، دلالاته، فالتعدد من المجتمعات لا تميز بين الفرد وجسده. ومن هنا كان من الضروري أن نتكلم

(1) - أكاديمية من جامعة وهران.

(2) - الزاهي فريد: " الجسد و الصورة و المقدس في الإسلام " إفريقيا الشرق . الدار البيضاء - المغرب - (د.ط) 1999 ص 55.

(3) - فؤاد إسحق الخوري : " إيديولوجيا الجسد، رموز الطهارة و النجاسة ، دار الساقي، الطبعة الأولى " 1997 ، ص 01.

(4) - J.P Sartre, L Imaginaire : psychologie phénoménologique de l'imagination, Paris, Gallimard, Coll bibliothèque des idées . 1940, P29.

عن الرقابة الجسدانية الاجتماعية " إن تصورات الجسد والمعارف التي تبلغها تخضع لحالة اجتماعية، ولرؤية العالم، ولتعريف محدد للشخص في داخل هذه الرؤية، فالجسد بناء رمزي وليس حقيقة في ذاتها. ومن هنا منشأ عدد لا يحصى من التصورات التي تسعى لإعطائه معنى. وسبب طابعها الغريب والشاذ والمتناقض من مجتمع لآخر".⁽⁵⁾

- و مما لاشك فيه أن دراسات الجسد في الثقافة العربية ارتبطت ارتباطا وثيقا بالنصوص القرآنية والشريعة الإسلامية " لقد ضل مفهوم الجسد في ثقافتنا العربية الحديثة والمعاصرة حبس النص الفقهي، التشريعي منه والسجالي. ولم يجد مرتعا لبعض من حرية التفكير والتصور إلا في النص التخيلي شعرا كان أو حكيا أو مسرحا، وبين صرامة النص الفقهي والحرية الممكنة للنص الأدبي يصعب الحديث في ثقافتنا عن تصور فعلي للجسد من حيث هو كيان له استقلاله الذاتي"،⁽⁶⁾ وسبب ارتباط موضوع الجسد بالنصوص الإسلامية هو أن جميع تصرفات وسلوكات الإنسان يعكسها الجسد، فالممارسات الدينية للفرد تتجلى في تصرفات جسده، إذ يصير الجسد في هذه الحالة معيارا للحكم عن الذات والأشياء ويتحول من كان أو حكيا أو مسرحا، وبين صرامة النص الفقهي والحرية الممكنة للنص الأدبي يصعب الحديث في كونه بنية بيولوجية مادية إلى مقياس قيمي. إذ به يتم غرس المبادئ والقيم الروحية للإنسان وإلا كيف نفسر دورة المعاقبة الجسدانية التي من شأنها أن تسد سلوكات الإنسان نحو الصواب وتوجهها نحو الحق .

- ومن زاوية أخرى فإن الجسد موضوع متعدد المشارب والدلالات، فهو موضوع فكري للعلوم المادية وعلى رأسها البيولوجيا، والعلوم الإنسانية، فقد درس "جون واطسون" طبيعة النفس دراسة علمية من خلال السلوكات الجسدانية، والدين والفلسفة، هذا ما جعله يحدث ثورة جذرية على الصعيد الفكري لفهم الذات، إذ تحول من كونه المسكوت عنه والمهمش، اللامفكر فيه موضوعا تم إغفاله والتغاضي عنه في إطار اشكاليات هامة إلى موضوع غزى جميع الأصعدة الفكرية في الثقافة العربية والتيارات العلمية المختلفة " فطبيعة الجسد بإعتباره كيانا أوليا متعدد الدلالات والوظائف يخترق بإلحاح مجموعة من المباحث والعلوم، من الطب إلى علم الأديان مروراً بالفلسفة والعلوم الإنسانية والأدب". وهذا ما يظهر الأهمية القصوى التي يتحلى بها موضوع الجسد، فهو نظام من العلامات يعكس بالضرورة ذاتية الفرد وثقافته، ويرتبط دوما بالحضارة والمجتمع، لذلك على الإنسان أن يهتم وينظر في كل لحظة من لحظات حياته بجسده ويخضعه للرقابة. وهذا ما يوحي بوجود سلطة بين الإنسان وجسده، ولعل أهم سلطة تمارس على الجسد كموضوع سلطوي هي سلطة العقيدة الدينية بإعتبارها مرجعية أساسية لقيم ومبادئ الفرد تعاليمه الروحية والسلوكية.

- إن الفرد مجبر على ممارسة أفعاله الجسدانية وفقا لمقرر الشريعة الإسلامية ومن هذا المعيار نحكم على السواء والشواذ، المباح والممتنع عنه، المقبول والمذموم " وبالتالي محاولة جاهدة لأسطورة الجسد وتوليغه وفق النزوع المعنوي

(5) - دافيد لوبروتون: "أنثروبولوجيا الجسد والحداثة"، تر: محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1997، ص 12.

(6) - الزاهي فريد: المرجع السابق، ص 07.

الروحي وقولبة الهوية الجنسية وفق القياس المتعالي وتحديد أطره الاجتماعية وفق التقاليد المتبعة في العرف القبلي، وبالنتيجة محاولة إخضاعها لهيمنة سلطة المؤسسات المسيسية وفقاً للمبادئ الإيديولوجية".⁽⁷⁾

- إن الجسد بالنسبة للسلطة وسيلة لتحقيق النظام، وتحقيق التوافق بين الفرد ومجتمعه وفرض احترامه لدينه ولتعاليمه المقدسة. فما حركة الركوع والوقوف والسجود إلا تعبيراً عن عبادة الخالق، والحديث عن الجسد كونه فعل الجسد ما هو إلا مظهر من مظاهر الخطاب الفقهي يرتبط بقواعد دينية إسلامية تهدف إلى معايته وتوجيه الجسد ومراقبته والحرص على تهديبه وقولبته وفق المعايير الدينية والعادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية الإسلامية.

- إن خلق نظام اجتماعي متزن، وتنشئة اجتماعية سوية محافظة على تراثها وهويتها لا يكون إلا من خلال ممارسة السلطة للرقابة الجسدية، وهي من أهم اهتمامات الشريعة الإسلامية فالجسد لا يمكن أن يكون حاضراً وموجوداً وفاعلاً إلا من خلال الامتثال الكلي والشامل للرقابة الاجتماعية الإسلامية أي من خلال تهديبه وترويضه إلى جسد لين مرن يحقق الأهداف المرسومة من قبل السلطة ويستجيب لمنظومتها التربوية والعقائدية.

- ولقد انتبه فعلاً الإسلام للجسد ووضع له قوانين يسيّر وفقها ليس من حيث الجانب المادي فحسب بل ومن الجانب الروحي أيضاً. ومن ثم فالأحكام التي نلحقها بالجسد سواء كانت أحكاماً موجبة أو سالبة لا تكون صحيحة أو في غير محلها من خلال المعتقد الديني والشريعة الإسلامية. ومن هذا المنطلق يمكن الحديث عن جسد ملتزم ومقدس وجسد طاغي محترف، جسد طاهر وجسد نجس "ويعتبر أهل التصوف الجسد محطة الروح التي انحلت فيه تنقله إلى مرتبة الكمال، فإذا كانت الشرائع تنظم الجسد وشهواته، فإن الجسد المهياً لإحلال الروح الإلهية فيه يسمو إلى عالم الكمال"⁽⁸⁾.

- إن في تقنين الجسد وضبطه هو نوعاً من المراقبة كي لا ينفلت من زاوية المقدس ويظل في خدمة الخالق ويستجيب لتعاليم الدين فقد وضع أسساً وقواعد للإنسان، روحية وعملية ونفسية سواء في الأكل أو الشرب، والرياضة والعمل، والجنس، والطهارة والبغاء... إلخ.

"وليس مراده النبي صلى الله عليه وسلم فيما ينهي عنه أو يذمه من أفعال البشر أو يندب إلى تركه وإهماله بالكلية، أو اقتلاعه من أصله وتعطيل القوى التي نشأ عنها بالكلية. إنما قصده تصريفها في أغراض الحق جهد الاستطاعة حتى تصير المقاصد كلها حقاً وتتحد الوجهة".⁽⁹⁾

- إن الفكر الديني الإسلامي يفرض رقابة جسدية على الفرد في جميع المجالات فمن الممارسات المثيرة مسألة الوشم في المجتمعات العربية الإسلامية. "إذ بقي الوشم متوارثاً طبقاً للعادات والتقاليد القديمة، وإن كان تطور (...). على نحو معايير اتجاهات الدين واحتفظ بأشكال أخرى كرسوم السمكة باعتبارها رمزاً على الإخصاب

(7) - منير الحافظ : "الجنسانية أسطورة البدأ المقدس"، دار الفرق، ط 1، 2008، ص 07.

(8) - فؤاد اسحاق الخوري : المرجع السابق ص 20.

(9) - ابن خلدون عبد الرحمن : "المقدمة" الباب الثالث من الكتاب الأول الفصل الثامن والعشرون: في انقلاب الخلافة إلى الملك، المكتبة التجارية الكبرى. القاهرة، دون تاريخ. ص 253.

ووفرة النسل"⁽¹⁰⁾، فالإسلام حرّم الوشم حفاظاً على صحة الإنسان لما يلحقه بالجسد من الآلام وتغيير. لقوله عليه الصلاة والسلام: "لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله".⁽¹¹⁾ وفي باب الصيام روي عن عمر بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله له عندما أخبره أنه يصوم النهار ويقوم الليل فقال النبي: "صم وأفطر، وقم ونم فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينيك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً وإن. بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر كله".

– إن حالة الجسد في الثقافة الإسلامية تعبير عن السلوكيات الاجتماعية وتعتبر مقياساً لمدى تدين الفكر وآدابه وأخلاقه وسمعته الاجتماعية " ليس ثمة فرق بين الديني والدنيوي، ذلك أن العمل الاجتماعي والأسروي له امتداداته، ومقصدياته، الثوابية الواضحة، إن حياة المسلم برمتها حياة من أجل الحياة الأخرى بحيث يترابط المقدس واليومي ترابطاً متيناً يصعب معه الحديث عن أي تعارض ممكن بينهما".⁽¹²⁾

– وركز الإسلام على الجسد وما يحمله من معاني وتأثيره على الممارسات الدينية والعلاقات الاجتماعية بين الناس فمسألة جمالية الجسد لها تأثير مزدوج فتزين المرأة لزوجها أمر واجب ومستحب دينياً بل عليها أن لا تبدي زينتها وعورتها إلا لزوجها وفي هذا السياق يوحى الإسلام بحجب عورة النساء ويأمرهن بارتداء الحجاب لقوله تعالى: "وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بناتهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون" (سورة النور الآية 31).

أما زينتها لغيرها ممن لم يوجبه الشرع فيعتبر إغراء وفتنة ومساومة للرجال وتحريك لشهوتهم وإغرائهم ومحاولة السيطرة عليهم، فكثيراً ما استخدمت المرأة للسيطرة على الرجل ولقد ربط مفهوم الفتنة بالمرأة مع أن الرجل هو مصدر غواية وفتنة أيضاً. "فالفتنة إذا هي معا إغواء وعصيان، إنها السحر والتمرد ذلك أن الرجال يعصون إرادة الله في ظل سحر المرأة، فيكون جمال المرأة طعماً يؤدي إلى الخسارة والهلاك الأبدي، ولذلك المرأة من هذا المنظور تعتبر من حبال الشيطان"⁽¹³⁾ كما عبر الدين الإسلامي عن الجسد بكل حرية خاصة منها المتعلقة بالحياة الجنسية مقارنة بالاديان الأخرى. "فالصمت شبه الكلبي في المسيحية عن الناحية الجنسية للجسد، وما يقابله من تراث غني في الإسلام عن الجسد والجنس".⁽¹⁴⁾ ذلك أن الإسلام يعترف بالطبيعة الفطرية للإنسان بما فيها

(10) – الزهرة إبراهيم: الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الثقافية. ص6. تابع وجوه الجسد ك النيا للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، 2009، ط1، ص131.

(11) – الإمام أبي زكريا يحيى بن شريف النووي: رياض الصالحين تحقيق الحسني عبد المجيد هاشم، ج2. مطبعة الكيلاني د.ث. ص855.

(12) – الزاهي الفريد: الجسد والضرورة في الإسلام و المقدس في الإسلام. ص57.

(13) – صوفية السحري بن حنيرة: "الجسد والمجتمع" دراسة أنثروبولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد، دار محمد علي للنشر تونس، ط 1، 2008، ص126.

(14) – قواد إسحق الخوري: مرجع سابق الذكر، ص83.

الرغبات الجنسية." فهو غير مطالب بالتخلص من رغباته وغرائزه والعيش في تمزق مأساوي كما هو الحال في التصور المسيحي".⁽¹⁵⁾

بل أوصى الإسلام بالإرتواء الجنسي. لقوله تعالى "فآتوا حرثكم أنى شئتم" وأوصى النبي عليه الصلاة والسلام بحسن اختيار الزوجة لقوله: "تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس".

- يدمج الإسلام شهوات المرء وغرائزه في إطار المقدسي فالمرء لا يمكنه أن يمارسها إلا من خلال تحديدات وقواعد الخطاب الفقهي، بل هو مطالب بإشباعها وفقا لما تقتضيه الشريعة و تفرضه من قوانين. لذلك كان النكاح مطلبا شرعيا للمعاشرة الجنسية الشرعية، إذ به يحفظ المرء نسله ويصون شرفه، ويحمي مجتمعه من الفساد والفجور، وينال من جراء ذلك ثوابا حسيا جسديا، وثوابا دينيا. وهذا يدل على أن للجسد حقوق دينية.

- ويعتبر أبو حامد الغزالي أن الرغبة الجنسية وضعت تخييرها في خدمة الله. لكي تحقق ذلك عليها أن تخضع لقوة الإيمان و التقوى أما إذا خضعت للهوى فإنها ستؤدي إلى ارتكاب الفواحش " فالنكاح سبب دفع غائلة الشهوة مهم في الدين لكل من لا يؤتي عن عجز وعنة "وهم غالب الخلق، فإن الشهوة إذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرّت إلى إقتحام الفواحش".⁽¹⁶⁾

- كما بين أبو حامد الغزالي أن الإستغلال الحسن للشهوات بفضل النكاح له فوائد همة في الإسلام . فيكفي أن المرء قد أقام نصف دينه. لقوله عليه الصلاة والسلام " من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني". إضافة إلى حفظ النسل لقوله عليه الصلاة والسلام: " تناكحوا تناسلوا". وهذا ما يظهر أن بقاء البشرية واستمرارها في الحياة لا يكون إلا بفضل الزواج." فالناكح ساع في إتمام ما أحب الله تعالى تمامه والمعرض معطل ومضيع لما كره الله ضياعه"⁽¹⁷⁾ كما فيه إرضاء لله ولرسوله الكريم. وأن يخلف المرء ولدا يدعوا له بعد موته " وبالجمله فإن دعاء المؤمن لأبويه مفيدا برا كان أو فاجرا".⁽¹⁸⁾ أو أن يموت الولد قبل والديه فيكون شفيعا لهما. وهذا ما يظهر أن الشهوة ليس الغرض منها المتعة وإنما الهدف منها إذا خضعت للإرادة الإلهية السمو بصاحبها إلى المراتب العلى، وإلى كسب مرضاة الله- وعلى النقيض من ذلك فإن الجسد الغرائزي الذي يستخدم الشهوة لتحقيق المتعة والغواية هو ما يوقع صاحبه في الزنا. ويعتقد أبو حامد الغزالي أن العين تشكل منطقة شهوانية إذ بإمكانها أن تجلب له لذة توازي اللذة الجنسية، فالنظر في غير محله يعتبر إثما. لذلك يدعوا الإسلام إلى غض البصر وبين عورة الرجل من عورة المرأة، ولا يقل السمع عن العين في أهمية ذلك أن الأذن عاشقة أيضا. فالمرأة منهية عن الصوت المرتفع: "إن أنكر الأصوات لصوت الحمير".

(15) - المرسى فاطمة: الجنس هندسة اجتماعية، المركز الثقافي الغربي الدار البيضاء، ط ح 1996، ص 11.

(16) - أبو حمد الغزالي "إحياء علوم الدين" دار الحديث القاهرة 2004، ج 2 ص 37.

(17) - أبو حامد الغزالي: المرجع السابق، ص 33.

(18) - المرجع السابق، ص 35.

ولحماية المرء من مخاطر الزنا الصحيحة كالإصابة بالأمراض الجنسية كالإيدز والاجتماعية مثل الانحراف الأخلاقي والإنجاب الغير شرعي وانتهاك الحرمه تظهر أهمية الزواج في الدين الإسلامي.

- وكما أن للنكاح فوائد له آفات أيضا يلخصها الغزالي في ثلاثة آفات أولاها أن النكاح يدفع صاحبه إلى طلب الرزق السريع أي الحرام. وهذا لغلاء المعيشة واضطراباتها. والثانية وهي عدم قدرة المرء على النفقة على الزوجة ورعاية مصالحها. إذ قال أحد ما: "أنا مبتلي بنفسي وكيف أصيف لها نفسا أخرى"، أما الأفة الثالثة أن ينشغل المرء بالزواج بأمور الدنيا " وحسن تدبير المعيشة للأولاد بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب التفاخر والتكاثر بهم وكل ما يشغل عن الله من أهل مال وولد فهو مسؤم على صاحبه" (19).

- إنه من الواضح جدا أن الجسد في الإسلام يخضع إلى قواعد وقوانين إرادة متعالية إلهية. تدعوه إلى التطهر من الرجس والنجاسة والدنس باستمرار، وتعزز الصلة بينه وبين الروابط الأخلاقية في كل تجربة يخوضها أو سلوكا يبدیه. ليبرهن على أنه جسد مطيع، ما وضع إلا لتحقيق القداسة الدينية. "إن حق الجسد كما يطرحه الإسلام هنا مدخل ضروري لخلق توازن القدسي والدنيوي عبر إدماج أحدهما في الآخر. وجعل تحقيق المتعة البدنية مدخلا لخلق الطمأنينة الدينية بوصفها غاية مقدسة" (20).

- لكن لماذا الخوف من حياة المرأة الجنسية ؟ يرى أبو حامد الغزالي أن دور المرأة جنسي سلبى. لذلك يجب ضبط النساء لكي لا ينصرف الرجال عن واجباتهم الاجتماعية. والحفاظ على سيرورة النظام الاجتماعي وقوانين المقدس رهين بتحسين المرأة وإشباع غرائزها الجنسية. إلا تسببت بإغراء رجالا آخرين وارتكبت الزنا. وهو نوع من الفواحش بل من الكبائر، والخيانة الزوجية أحيانا وهو ضد التعاليم الدينية.

وتعترف فاطمة المرنسي وهي باحثة مغربية في علم الاجتماع أن المرأة تملك جسدا فعلا فالمرأة الجميلة تشكل اضطرابا جنسيا. وهي خطرا على الرجال ومن أجل ذلك وجب وضع أساليب لمقاربتها. "ومعنى هذا أن طاقتها الجنسية أكبر من أن يعمل على إرضائها رجل واحد إنه خوف من خروجها وبحثها عن رجال آخرين تغويهم وتغريهم" (21). إنه من خلال هذا التحليل فإننا نعتزف ضمينا بقوة الرجل وضعف المرأة وهو ما أباح للرجل الزواج بأربع. و يقترح الإمام الغزالي أن يتصل الرجل بالمرأة جنسيا كلما أمكنه ذلك، أو مرة كل أربع ليال إذا كان متزوجا من أربع نساء... وإلا ما تمكن الرجل من إشباع حاجات النساء" (22).

- ومن جهة أخرى فإن تهذيب المرأة وإصلاحها يكون جنسيا أيضا فلقد جعل الإسلام الهجر في المضاجع كوسيلة من وسائل تحسين سلوك الأنثى ودفعها نحو طاعة زوجها كما أن المرأة إذا دعاها زوجها لفراشه ولم تستجيب له من رحمة ربها ونالت لعنة الملائكة.

(19) - أبو حامد الغزالي : المرجع السابق .ص45.

(20) - الزاهي فريد : الجسد والمقدس في الإسلام. مرجع سابق.ص61.

(21) - فاطمة المرنسي، الجنس كهندسة اجتماعية.ص16.

(22) - أبو حامد الغزالي إحياء علوم الدين ،ص50.

- وليس من الغريب أيضا أن يربط الإسلام حق المرأة في النفقة بأدائها لواجبها وإرضاء زوجها وإشباعها لشهواته ورغباته ويصطبغ موضوع الجسد بترابنية مكانية فنجد أماكن خاصة بالرجال وأخرى بالنساء وذهاب المرأة لأماكن الرجال يعد خروجاً عن القداسة الدينية. ويؤكد التيجاني: "على المرأة إذا خرجت من بيتها أن تكون متحرزة أن يسمع صوتها أو تعرف عينها".⁽²³⁾.

ولا تقتصر الحياة الجنسية بين المرأة والرجل بل تكون بين الرجل والرجل وهو ما يسمى باللواط وهو أشد جرماً وأكبر إثماً من الزنا " فإذا كانت هذه سبيل الزنا فكيف يسبل اللواط التي تعدل الفعل منه في الإثم والعقوبة أضعافها وأضعاف أضعافها من الزنا"،⁽²⁴⁾ ويشدد "ابن القيم" على عقاب اللواط دنيواً قبل العقاب الأخروي. كما يحذر من السحاق، وهو علاقة جنسية شادة بين امرأة و امرأة إذ يشبهه بالزنا "فله نفس مآله ومفاسده وعقابه حيث يقول فيه بناءً على النص النبوي إذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان".⁽²⁵⁾ وقد منع الإسلام السحاق ووضع له حدود لا تتجاوز الحبس في البيوت شريطة توفر أربعة شهود كما ورد في الزنا وسواء كانت الممارسات الجنسية لواطاً أو سحاقاً، فإنه لا الضمير الخلقي ولا المعتقد الديني يقبل مثل هذه الممارسات بل يدينها ويرفضها رفضاً تاماً.

- وعلى خلاف "الغزالي" الذي يضع المرأة في قفص الإتهام ويجعلها محور الفتنة وسبب الهلاك والضياع فإن "ابن القيم" يرى أن المسؤولية مزدوجة تقع على عاتق الرجل والمرأة على حد سواء. مما يوحي بإعتراف "ابن القيم" على فعالية جسد المرأة والرجل في آن واحد وللنجاحة من هذه الفتنة وتصويب الأفعال الجنسية ضمن مجال التنظيم والنظام السلطوي الديني لا بد من إحكام العقل وبلوغ درجة الحكمة المتوخاة مرضات الله وهو ما يعتبره "ابن القيم" العقل المنساق للمقدس " فالرشد والهدى إذا أفرد كل منهما تضمن الآخر، وإذا قرن أحدهما بالآخر فالهدى هو العلم بالحق، والرشد هو العمل به، وضدهما الغي واتباع الهوى "، وتشكل تنائية العقل والهوى علاقة تناقض بحيث إذا وجد أحدهما رفع الثاني بالضرورة إذ بينهما عداوة نكراء، فإذا غلبت كفة العقل كفة الهوى حصلت السعادة وتحقق السمو إلى المقدس وطبقت تعاليم الشريعة أما إذا حدث العكس فحصل الهم والغم ووقع الإنسان في المحذور والمذموم الديني. لأن في ذلك مخالفة للشرع وتعدي لحدود الله " فلقد ألقى الله العداوة بين الشيطان والمملك، بين العقل والهوى"⁽²⁶⁾.

- لا يكتفي ابن القيم بدور العين والقلب في ارتكاب الشهوات وصنع المنكرات، بل يضيف حاسة السمع ويعلن أن الرقابة الجسدية لا بد أن تشمل العين والقلب والسمع، لذلك يحذر من سماع الغناء فإنه قرآن

(23) - التيجاني محمد عبد الله بن أحمد، تحفة العروس ومتعة النفوس، تحقيق جلال العطية، لندن، 1992، ص162.

(24) - ابن القيم الجوزية: "روضة المحبين ونزهة المشتاقين"، تحقيق سمير مصطفى رباب، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت (د-ط)، 2001، ص288.

(25) - ابن القيم : الجواب الكافي لمن سأل عن الجواب الشافي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت (د-ط)، 2002، ص177.

(26) - ابن القيم : البيان في مصاديد الشيطان، تحقيق صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت، 2000، 1، ص193.

الشيطان قال: ابراهيم بن محمد المروزي عن أبي عثمان الليثي قال: يزيد بن الوليد: "يا بني أمية إياكم والغناء، فإنه ينقص الحياء، ويزيد في الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه لا ينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر، فإن كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء، فإن الغناء داعية الزنى".⁽²⁷⁾

- وعلى قدر ما يظهر الإسلام اهتمامه بالجسد والجنس فقد أولى أهمية للطهارة، ذلك أن الجنازة والدفن تنتج عن العلاقة الجنسية وليس في هذا الخط من قيمة الرابطة الجنسية بل يدل على إخضاعها لأخلاقيات راقية تعطيها بعدا روحيا وعمقا إنسانيا. فلا صلاة من دون غسل وطهارة لرفع الجنازة، فالوقوف بين يدي الله والتوجه لقبلة يشترط على المسلم أن يغتسل وهذا ما يظهر بعمق نظافة الإسلام وحرمة الله عز وجل وقداسته، فالطهارة هي رمز للعفة والتضرع للخالق واستجابة لأوامره ونواهيه .

- وأخيرا فإن الحديث عن الجسدي من حيث هو فعل للجسد وعن الرقابة الاجتماعية يدفعنا إلى التسليم بقواعد وقوانين دينية وقيم ومبادئ أخلاقية ويجعلنا نعتز اعترافا مباشرا وضمنا بفعالية جسد كل من المرأة والرجل على حد سواء. فالنساء شقائق الرجال، ومن ثم محاولة توجيه وتهذيب هذه الفعالية لما تقتضيه الشريعة والعادات والتقاليد الاجتماعية الدينية، وينبغي الإشارة أيضا إلى أن إنفتاح الفقهاء على هذا الموضوع هو تمسكهم بالمعتقد الديني الذي يدعوا إلى الحرية في الفكر والتعبير.

(27) - ابن القيم: "المرجع نفسه، ص200.

قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية

1. فؤاد إسحق الخوري: "إيديولوجيا الجسد، رمزية الطهارة والنجاسة، دار الساقى، الطبعة الأولى" 1997 .
2. دافيد لوبروتون: "أنثروبولوجيا الجسد والحداثة"، تر: محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والنويع، بيروت، 1997.
3. منير الحافظ: "الجنسانية أسطورة البدأ المقدس"، دار الفرقد، ط 1 ، 2008.
4. -ابن خلدون عبد الرحمن: "المقدمة" الباب الثالث من الكتاب الأول الفصل الثامن العشرو: في انقلاب الخلافة إلى الملك، المكتبة التجارية الكبرى. القاهرة ، دون تاريخ.
5. الزهرة إبراهيم: الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الثقافية (2) تابع وجوه الجسد ك النيا للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، 2009، ط1.
6. الإمام أبي زكريا يحيا بن شريف النووي: رياض الصالحين تحقيق الحسني عبد المجيد هاشم ،ج2. مطبعة الكيلاني د.ت.
7. صوفية السحري بن حتيرة: "الجسد والمجتمع" دراسة أنثروبولوجية لبعض الإعتقادات والتصورات حول الجسد، دار محمد علي للنشر تونس، ط 1. 2008 .
8. المرسي فاطمة: الجنس هندسة اجتماعية، المركز الثقافي الغربي الدار البيضاء، ط ح، 1996.
9. أبو حمد الغزالي "إحياء علوم الدين" دار الحديث القاهرة 2004 .
10. التيجاني محمد عبد الله بن أحمد، تحفة العروس وممتعة النفوس، تحقيق جلال العطية، لندن، 1992 .
11. ابن القيم الجوزية : " روضة المحبين ونزهة المشتاقين"، تحقيق سمير مصطفى رباب، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت (د-ط)، 2001.
12. ابن القيم: الجواب الكافي لمن سأل عن الجواب الشافي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت(د-ط)، 2002.
13. ابن القيم: البيان في مصاديد الشيطان، تحقيق صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000، ص193.
14. الزاهي فريد: "الجسد والصورة والمقدس في الإسلام إفريقيا الشرق. الدار البيضاء - المغرب - (د.ط) 1999.

قائمة المصادر باللغة الفرنسية

15. J.P Sartre, L Imaginaire: psychologie phénoménologique de l'imagination, Paris, Gallimard, Coll. bibliothèque des idées .1940.